بقلم
رئيس التحرير

د.ق.أندريه زكي
رئيسُ الطائفةِ الإنجيليَّةِ بمِصْر
رئيسُ الهيئةِ القبطيَّةِ الإنجيليَّةِ للخدماتِ الاجتماعيَّةِ

الإسخاتولوجي
حقيقة مستقبليّة وحالة وجوديّة

مصطلح الإسخاتولوجي

تتكون كلمة «**إسخاتولوجي**» في الأصل اليوناني مِن جزأين؛ الجزء الأول مُشتق من الصفة اليونانيّة «**εσχαοφ**» وتعني «**الأخير**»، والجزء الثاني من كلمة «**λόγος**» والتي تعني «**الكلمة/الكلام**»، وبإضافة الجزأين معًا يمكن أن نُترجم مصطلح «إسخاتولوجي» بـ«**الكلام عَن الأمور الأخيرة**».

وكلمة «λόγος» في اليونانيّة تطورت في اللاتينيّة إلى «**ology**» والتي تُترجم إلى «**علم**»، وبالتالي يُمكن أن نُترجم كلمة «إسخاتولوجي» إلى «**علم الأمور الأخيرة**» أو «**الأخرويات**» كما هو مُتعارف عليه في الأوساط الاكاديميّة اللاهوتيّة.

الإسخاتولوجي والكتاب المقدّس

والإسخاتولوجي هو رجاء العهد القديم الذي تحقّق جزئيًّا في مجيء المسيح الأول، والذي سيتم اكتماله النهائي في نهاية الزمان، لذا فجذور

التعليم الإسخاتولوجي ليست في العهد الجديد فقط، بل في العهد القديم أيضًا. ونرى جذوره في الرجاء الذي كان لدى الشعب قديمًا بقدوم «يوم الرّب»، الذي يتدخل فيه ليضع نهاية للشر، ونصرة على الظلم والقهر، ويعيد مجد إسرائيل ويرد المسبيين، ويُحقّق ارتباطًا أقوى وأمتن باللّه حيثُ يسكن اللّه وسط شعبه. وهنا قد نلحظ أن المسيحية أعطت بُعدًا جديدًا لفكرة الرجاء أنه ليس أرضيًّا فقط، وإنما يمتد إلى السماء الجديدة والأرض الجديدة. وهو ما أكد عليه السيد المسيح حين قال: «مَمْلَكَتِي لَيْسَتْ مِنْ هذَا الْعَالَمِ». لكنه أيضًا لم يهمل البعد الأرضي، حين أكد أن ملكوت اللّه «هنا والآن»: «لاَ يَأْتِي مَلَكُوتُ اللهِ بِمُرَاقَبَةٍ، وَلاَ يَقُولُونَ: هُوَذَا ههُنَا، أَوْ: هُوَذَا هُنَاكَ! لأَنَّ هَا مَلَكُوتُ اللهِ دَاخِلَكُمْ» (لو ١٧: ٢١- ٢٢). ونرى أيضًا شغف الكنيسة الأولى في مجيء المسيح الثاني في العديد من النصوص. وبالتالي يُمكن تتبُّع وضوح إعلان الرجاء الإسخاتولوجي في كل الكتاب المقدّس بعهديه.

الإسخاتولوجي والإيمان المسيحي

يُعتبر الإسخاتولوجي «الأخرويات» أمرًا أساسيًّا في المسيحيّة، بل ويمكن اعتبار المسيحيّة كلها إسخاتولوجيّة، حيُث إن المسيحيّة نفسها رجاء. فلقد انبثق الإيمان المسيحي مِن قيامة يسوع المسيح المصلوب، وامتدّ إلى الوعود بالمستقبل العالمي للمسيح، حينما يكون ملكه منظورًا لكل الخليقة، وبالتالي فالإسخاتولوجي هو وصف لكل الإيمان المسيحي، بل ولكل الوجود المسيحي، ولكل الكنيسة.

وتنقسم الأخرويات المسيحيّة إلى قسمين أساسيين هما: الأخرويات الشخصية والأخرويات العامة. فالأخرويات الشخصية تتعلق بالأشخاص أنفسهم منذ وقت الموت الجسدي، وما يُسمى بالحالة الوسيطة حتى قيامة الأجساد النهائية. أما الأخرويات العامة، فهي التي تُغطي عرضًا للأحداث المستقبليّة والتي تتضمن المجيء الثاني للمسيح، ودينونة

العالم، واكتمال ملكوت اللّه بصورة نهائية، وتحقيق الخليقة الجديدة لكل الأشياء.

الإسخاتولوجي واللاهوت النظامي

يُعتبر الكتاب المقدّس -بكل تأكيد- هو أساس الإيمان المسيحي، ولكن لا بد وأن يتم شرح وتفسير النصوص المختلفة لكي نخرج بصياغات لاهوتيّة، تساعدنا على فهم إيماننا بطريقة أفضل، وأكثر وضوحًا، وهذا ما يُسمى بـ«اللاهوت النظامي»، أي صياغة الفكر الإيماني العقائدي بطريقة مُنظمة في القضايا والأمور المختلفة.

ويدخل علم الأخرويات «الإسخاتولوجي» تحت مظلة اللاهوت النظامي في الدراسات الأكاديميّة؛ فهو جزء أساسي منه. ويوجد كثير من التقسيمات لعلم اللاهوت النظامي أشهرها التقسيمة الرباعيّة الآتية: القسم الأول هو «الثيولوجيا» أي علم الكلام عن اللّه، والقسم الثاني هو «الأنثروبولوجيا» أي علم الكلام عن الإنسان، والقسم الثالث هو «الكريستولوجيا» أي علم الكلام عن المسيح، والقسم الرابع هو «الإسخاتولوجيا» أي علم الكلام عن الأمور الأخيرة، والمصير النهائي للإنسان والبشرية والخليقة. وبذلك يكون الإسخاتولوجي مبحثًا رئيسيًّا وأساسيًّا ولا يمكن تجنبه في الدراسات اللاهوتيّة.

الإسخاتولوجي والجدل اللاهوتي

ومما لا شك فيه أن الباحثين والأكاديميين واللاهوتيين من مُختلف المذاهب والتيارات المسيحيّة، قد تحيروا كثيرًا أمام قضايا الإسخاتولوجي، فبالرغم من حقيقة الإسخاتولوجي الكتابيّة والإيمانيّة الواضحة، إلا أن دراسة التفاصيل، ومحاولة التفصيل فيه، من الأمور الأكثر غموضًا واختلافًا داخل الأوساط المسيحيّة المختلفة، منذ بداية المسيحية وحتى الآن. ولقد ظهرت في هذا المضمار مدارس مختلفة يكاد يصل الاختلاف بينها إلى درجة التناقض تجاه نظرتها إلى

تفسير عدة قضايا مرتبطة بالأخرويات؛ مثل أحداث المجيء الثاني، الاختطاف، الضيقة، الملك الألفي... وغيرها، لذا فهو مبحث شاق وصعب.

الإسخاتولوجي تعزية روحيّة

يلعب الإسخاتولوجي دورًا كبيرًا في انتعاش الحالة الروحيّة لدى المؤمن؛ حيث يتقابل مع تحديات الحياة اليوميّة، وآلام الزمان الحاضر، والصراعات الفكريّة والوجوديّة، برجاء حقيقي يملأه بيقين النصرة النهائيّة مهما ضاق به الزمان؛ فهو بمثابة تعزية روحيّة حقيقية تنعش القلب، وتُبهج الروح، وتُطلق الوجدان، وذلك لأنه حقيقة مبنيّة على يقين قيامة الرّب يسوع من بين الأموات، تلك الحقيقة التي تقف وبقوة أمام كل أصوات الإحباط واليأس، وكل قوى العبثيّة والعدميّة، وتؤكد أن هُناك غاية نهائيّة إيجابيّة لهذا الوجود.

الإسخاتولوجي حالة وجوديّة

لا يُمكن اختزال الإسخاتولوجي باعتباره هو الحقائق البعيدة فقط، والتي سوف تحدث وتظهر في آخر الزمان، ولكنه هو تلك الحقيقة الوجوديّة أيضًا، التي تبقى باستمرار في الكنيسة غير المنظورة التي تعيش دائمًا في الحاضر بحسب مبادئ ملكوت اللّه. فهو طريقة فهم التحقيق الكامل للخلاص كحدثٍ مستقبليٍّ، وأيضًا كسلسلة مِن الأحداث تقودنا نحو المستقبل، فهو بشكلٍ ما ينتمي ويرتبط بالحاضر. فالحاضر يلعب دورًا كبيرًا في العقيدة الإسخاتولوجيّة، والمستقبل دائمًا يكون مُتداخلًا مع الحاضر.

لذا يقودنا الإسخاتولوجي إلى حركة ديناميكيّة وجوديّة، تدفعنا إلى الأمام نحو مزيدٍ مِن التنمية والتنوير، فهو نهاية الشر والظلم والفقر، والقضاء على الفساد والعبوديّة والقسوة، وإنقاذ العالم من براثن التطرف والكراهية والعنف. لذلك يُحرك فينا الإسخاتولوجي الرغبة

في النهضة والإصلاح ويدفعنا دفعًا إلى العمل الجاد والدؤوب للارتقاء بالكنيسة والمجتمع.

وهذا ما أكد عليه السيد المسيح في إنجيل متى ٢٤- ٢٥، في عدة أمثال (رب البيت، العبد الأمين، العذارى الحكيمات والجاهلات، الوزنات، الخراف والجداء)، تناولت بُعدي الإسخاتولوجي؛ البعد الوجودي (هنا والآن) والبعد الأخروي (المستقبلي)، ويلاحظ مثلًا في مثل الخراف والجداء أن السيد المسيح ركز على البعد الآني في سياق حديثه إذ قال: «ثُمَّ يَقُولُ الْمَلِكُ لِلَّذِينَ عَنْ يَمِينِهِ: تَعَالَوْا يَا مُبَارَكِي أَبِي، رِثُوا الْمَلَكُوتَ الْمُعَدَّ لَكُمْ مُنْذُ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ. لأَنِّي جُعْتُ فَأَطْعَمْتُمُونِي. عَطِشْتُ فَسَقَيْتُمُونِي. كُنْتُ غَرِيبًا فَآوَيْتُمُونِي. عُرْيَانًا فَكَسَوْتُمُونِي. مَرِيضًا فَزُرْتُمُونِي. مَحْبُوسًا فَأَتَيْتُمْ إِلَيَّ» (مت ٢٥: ٣٤- ٣٦)، ويوضح لهم أن هذه الأفعال هي نفسها التي قاموا بها تجاه المحتاجين في مجتمعاتهم. وهنا يؤكد المسيح على أهمية الرجاء هنا والآن من خلال الدور الإنساني والمجتمعي للكنيسة والمؤمنين، في تحقيق الرجاء الأخروي.

وفي هذا العدد

رأينا أن نُقدّم بجرأة المفكر، وثبات المؤمن، ملفًّا متخصصًا عن الأخرويات «الإسخاتولوجي» لقارئ النسور، وذلك حتى نُساعد طالبي المعرفة، والمُهتمين، والباحثين، أن يتعرّفوا على الفكر الكتابي واللاهوتي الخاص بهذا المبحث، من خلال مجموعة من الأبحاث والمقالات الجادة والقيِّمة، التي تناولت الموضوع من عدة محاور، في محاولة لتقديم رؤية شاملة لمفهوم الإسخاتولوجي، تتبنَّى جميعها منظورًا مشيخيًّا محافظًا مستنيرًا؛ حيث إن هذا هو التوجه الفكري للنسور، فهي تنتمي للكنيسة المُصلحة، وترغب في تعزيز المنهج المستنير في التعامل مع القضايا المختلفة بطريقة تواكب السياق الذي نعيش فيه، وذلك دون المساس

إطلاقًا بثوابت الإيمان المسيحي ومبادئ الإصلاح الإنجيلي التي نعتز ونفخر بها دائمًا.

وأصلي إلى الرّب راجيًا أن يهب كل باحث عن الحق الكتابي، الاستنارة الروحيّة والفكريّة، التي بها يستطيع أن يقف بثبات أمام تحديات الحياة المختلفة، وأيضًا يستلهم به رجاءً يعبر فوق مرتفعات الزمان الحاضر، وينتظر بشوق المجد العتيد أن يُستعلن فينا.